Issue 5936 Monday15/1/2018
الزمان – السنة العشرون العدد 5936 الاثنين 27 من ربيع الآخر 1439 هـ 15 من كانون الثاني (يناير) 2018م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/20. UK

دور تكنولوجيا الإتصال في تفعيل الإتصال الثقافي بين الشعوب

سعد الطائي
بغداد

مدخل:

تسهم وسائل الاتصال مساهمة كبيرة في استمرارية التفاعل والاتصال الثقافي بين الشعوب ذات الثقافات المختلفة او المتعددة.

فقد استعمل الانسان عبر تاريخه الاتصال الشخصي في الاتصال والتواصل بينه وبين الاخرين سواء من الثقافة التي ينتمي اليها ام مع الاخرين من الثقافات الاخرى والذي كان اتصاله بهم محدودا بسبب عامل اختلاف اللغة وصعوبة وسائل المواصلات وعدم توفر وسائل الاتصالات المتطورة، كما هو الحال عليه حالياً.

وقد كفلت وسائل الاتصال سواء الشخصية او المتطورة للثقافات الانتشار والوصول الى مسافات بعيدة عن المكان الذي وجدت او نمت فيه.

اذ وفرت وسائل الاتصال لعناصر الثقافة الانتقال من مجتمعات بشرية الى اخرى ووفرت لها استمرارية الانتقال من جيل الى جيل اخر كما انها أمنت لها الآليات الضرورية للتلاقح والتمازج والتفاعل مع الثقافات الاخرى عن طريق تناقلها بين الناس او المجتمعات او الشعوب المختلفة.

دور وسائل الاتصال في تعزيز الاتصال الثقافي بين الشعوب:

تؤدي وسائل الاتصال الشخصية والجماهيرية وظائف متعددة لعل ابرزها هو نقل المعلومات والافكار والصور والعواطف بين الافراد وبين المجموعات البشرية المتعددة كما ان احد اهم وظائف وسائل الاتصال هو نقل التراث الثقافي من جيل الى الاجيال اللاحقة. كما انها تعمل على تسهيل الاتصال والتواصل بين الثقافات المختلفة للمجموعات البشرية المتعددة فهي تسهم بصورة كبيرة في امكانية وايجاد فرص التحاور والتلاقي والتواصل بين المجموعات البشرية ذات الثقافات المتعددة مما يمكنها من نقل عناصر ثقافاتها فيما بينها ويسهل تلاقحها وامتزاجها وتفاعلها وايجاد الفرص الكبيرة في نقل بعضها الى الاخر.

وقد قامت وسائل الاعلام، التي هي جزء من وسائل الاتصال بدور كبير على مختلف الحقب التاريخية لظهورها سواء بشكلها البدائي او البسيط او التقني المعقد الذي تمر به حالياً، في تواصل الثقافات المتعددة وذلك عن طريق زيادة التدفق المعلوماتي بشكل كبير جدا الى الجمهور المختلف الاذواق والمرجعيات واللغات والاصول الاثنية المتعددة التي يعود اليها.

وزادت من تعريف الشعوب بعضها بعضاً الاخر عن طريق التعريف بعاداته وتقاليده ومثله واديانه ومعتقداته والافكار والمبادئ والمعتقدات التي يؤمن بها، فاغنت بشكل كبيرا جدا عن الطرق التقليدية التي كان يتم بها تعرف الشعوب بعضها بالبعض الاخر، والتي كانت تتمثل بالسفر والذي كانت حركته بطيئة تبعا للوسائل المستعملة فيه وكانت تمتاز بالبدائية وبالتالي فهي بطيئة الحركة الامر الذي ادى الى بطيء انتقال البشر ومن ثم بطئ انتقال الافكار الامر الذي انعكس على بطيء حركة التفاعل بين الشعوب مع بعضها الاخر.

والطريقة الاخرى هي رواية الاشخاص الذي سافروا أو تعرفوا عن قرب على عادات وتقاليد وافكار وانماط معيشة شعوب المناطق التي ذهبوا اليها او انتقال الروايات من فرد الى اخر او من جيل الى اخر الامر الذي اشار الى بطئ حركة تعرف المجموعات البشرية بعضها بالبعض الاخر لاسيما المجموعات المتباعدة جغرافيا.

كما ان الحروب والغزوات مثلت طريقة من طرق تفاعل الثقافات، ولو بطريقة تصادمية، وصلت في بعض الاحيان الى درجة الصراع الذي ادى الى افناء امة دون اخرى، او ادى هذا الصراع الى ابقاء حالة الحرب مستمرة لفترات طويلة من الزمن.

الا أنها أدت بطريقة او بأخرى الى تعريف الامم بعضها بالبعض الاخر ونقلها اسالياً وطرقاً وأنماطا معينة الامة ومجموعة مصطلحات ومفردات لغوية من ثقافة تلك الامة المتصادمة معها. والامثلة التاريخية كثيرة في هذا المجال.

الا ان وسائل الاعلام مثلت اكثر الطرق الحضارية والسلمية فعالية في تفعيل وتطوير وزيادة الاتصال الثقافي بين الامم والشعوب وادت أدواراً مهمة وكبيرة لا يمكن قياسها او حسابها بسهولة مقارنة بأية طريقة اخرى لاتصال الثقافات العالمية ومارست أدواراً متعددة حسب نوعية الوسيلة الاعلامية ومدى سهولة وصولها الى الجمهور وتفاعله معها فأسهمت كل وسيلة اعلامية تبعاً لامكاناتها ومواصفات عملها سواء الصحافة او الكتب او السينما او الاذاعة والقنوات التلفازية الارضية والفضائية والوسيلة الحديثة المواقع الالكترونية على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت). فادت مجتمعة خدمات لا تحصى للاتصال الثقافي العالمي وزادت من تفاعله وتطويره.

دور تطور التقنيات الإعلامية في زيادة إمكانات وسائل الإعلام في زيادة الاتصال الثقافي بين الأمم

ساهم تطور التقنيات المستعملة في وسائل الاعلام في زيادة امكانات وصولها الى فئات كبيرة وواسعة من الجمهور في الدولة التي تصدر بها الوسيلة الاعلامية او الدول القريبة لها جغرافياً او حتى مجموعة كبيرة من الدول البعيدة عنها بمسافات جغرافية كبيرة جداً.

وصول مضمونات

الامر الي سهل وصول مضمونات وسائل الاعلام الى جمهور كبير جدا ليصبح جمهور هذه الوسائل ليس محليا فحسب، انما جمهوراً عالميا لكثير من هذه الوسائل مما زاد من امكانات تأثيرها محليا وإقليميا ودولياً وعمل على "توحيد" تلقي هذا الجمهور للمواد والمضمونات نفسها وان كانوا ينتمون الى خلفيات ثقافية وقومية وفكرية متباينة.

وابرز مثال على دور تطور تقنيات العمل الاعلامي في زيادة الاتصال الثقافي بين الشعوب هو القنوات التلفازية التي استعملت البث الفضائي المباشر كواسطة للوصول الى الجمهور مستعملة الاقمار الصناعية في ذلك والتي تغطي مساحات واسعة جدا من الكرة الارضية في بثها .

وقد رافق تطور التكنولوجيا الاقمار الصناعية والمعدات الهندسية والفنية المستعملة في البث التلفازي الفضائي سواء في الاستديو ام في وسائل بث المواد والبرامج الاعلامية زاد من امكانات وتحسين نوعية الصورة الواصلة الى الجمهور ومن جودتها كما انه طور وزاد من امكانات نقل الحدث الذي يقع في أي بقعة من العالم في ثوان معدودة او اقل من ذلك.

حيث يتم استعمال البث المباشر اثناء تغطية حدث معين مما يجعل من الجمهور على نطاق دول متعددة وكثيرة يعلم في نفس الوقت وبنفس الطريقة وقوع ذلك الحدث التي تمت تغطيته اعلامياً، الامر الذي يساهم في خلق رؤى مشتركة وأراء متشابهة وافكار متقاربة عن الكثير من الموضوعات والقضايا التي تهم العالم. والتي بدون وجود هذه التقنيات المتطورة لما امكن من ايجاد هذه المقاربات بين الكثير من الافراد من شعوب العالم المختلفة.

فضلاً عن المحطات الاذاعية سواء المحلية او الموجهة والتي يصل مداها الى دول مختلفة وبلغات متعددة متجاوزة الحواجز الجغرافية او السياسية للدول ولتصل الى مسافات بعيدة عن المراكز او الاماكن التي تبث منها.

والمثال المهم الاخر لمدى مساهمة تكنولوجيا الاعلام في زيادة الاتصال الثقافي بين الشعوب هو شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) فقد تم عن طريق هذه التكنولوجيا المتطورة، والتي نتجت عن دمج تكنولوجيا الحاسبات مع تكنولوجيا الاتصالات في ايجاد فضاء اتصالي واعلامي مباشر بين مختلف افراد شعوب العالم من ثقافات ولغات وقوميات متعددة وساهمت في تقريب بعضهم مع بعضها الاخر بسهولة وبطريقة قليلة التكلفة مقارنة بالخدمات المتعاظمة التي تقدمها للاتصال الثقافي بين الشعوب.

وساهمت الطرق التفاعلية المستعملة في كثير من انواع الاتصالات التي توفرها هذه الشبكة في ايجاد اتصال تبادلي بين القائمين بالاتصال وبين الجمهور سواء المحلي او العالمي مما ساهم في تعديل او أبدال مضمونات الكثير من البرامج الاعلامية المقدمة لكي تتلاءم مع متطلبات هذا الجمهور فراعت بذلك رغبات لفئات متعددة من الجماهير وعملت على تقديم مادة اعلامية ملائمة للكثير من الثقافات المتباينة والمتعددة في دول متقاربة او متباعدة جغرافيا. ومكنت بطريقة لا يمكن مقارنتها بطرق اخرى، لحد الان من التقريب بين ثقافات الشعوب عن طريق تعريف بعضها بالبعض الاخر سواء بتناول عاداتها وتقاليدها وطرق معيشتها او بطرح الموضوعات والقضايا التي تهمها وعرض آراء ووجهات نظر شعوبها بقضايا وموضوعات متعددة مما ساهم في ايجاد صورة ذهنية من قبل مجموعات ثقافية او قومية عن الاخرى وتعديل صور نمطية خاطئة او مغلوطة متكونة عند بعضها خلفها الزمن وساهمت بها المعلومات الخاطئة الواردة اليه والتي حالت سهولة الاتصال في تعديلها او تصحيحها او الحصول على الصائب منها.

وهنا ألغيت الحوافز الجغرافية او السياسية او الاقتصادية وصعوبات الاتصال الشخصي بين افراد الشعوب المختلفة والمتمثلة بتكاليف السفر المرتفعة لتجد طريقة سهلة وبسيطة ومنخفضة الكلفة في التعرف على الافراد او المجموعات الثقافية التي ينتمون اليها وطبيعة ثقافاتهم وحضاراتهم ممن قد يكونون قريبين منا جغرافيا او بعيدين الا ان استعمال شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) كوسيلة اتصالية واعلامية على نطاق العالم باسره افرز سلبية كبيرة اثرت بشكل كبير على طبيعة الاتصال الثقافي بين شعوب العالم، وهي استعمال لغات محدودة واسطة للاتصال. الامر الذي اثر على استعمال الأغلبية المطلقة من لغات العالم والتي تقدر بستة الاف لغة. مما يستوجب ايجاد الحلول التقنية لذلك، حتى لا يتم ابدال اهداف الاتصال الثقافي من التقريب والتفاعل والامتزاج الى الالغاء والسيطرة والاكتساح.

تقنيات اعلامية

فضلا عن ان التطور في التقنيات الاعلامية عمق من مشكلة الاختلال الاعلامي والمعلوماتي بين الدول الصناعية، المالكة والمطورة والمصنعة لهذه التكنولوجيا، والدول النامية المعتمدة على استيراد هذه التقنيات منها مما اثر بشكل سلبي على من يستورد هذه التكنولوجيا بدون ان يعمل على تصنيعها وتطويرها وهو حال الدول النامية، الامر الذي افرز حالة من حالات الخلل الاعلامي والمعلوماتي بين الطرفين انعكس سلباً بالنتيجة على حالة التفاعل والاتصال الثقافي بين هذه الامم، لصالح الدول الصناعية التي تملك كل شيء، امام الدول النامية العاجزة عن التكافؤ او اللحاق بها، مما تسبب في حدوث حالة التدفق احادي الاتجاه من الشمال الى الجنوب تبعا لتوفر عوامل القوة المادية والصناعية والاعلامية. او وجود تدفق قليل او حتى معدوم من دول الجنوب الى دول الشمال.الامر الذي احدث حالة اللاتكافؤ في الاتصال والتفاعل الثقافي بين امم وشعوب العالم.

مما يستوجب العمل على معالجة هذه الاشكاليات وايجاد الحلول اللازمة لها من اجل ضمان واستمرارية التفاعل والاتصال بين ثقافات العالم المختلفة بطريقة متكافئة ومتساوية.

حتمية الاتصال الثقافي بين شعوب العالم

يعد الاتصال الثقافي بين شعوب العالم من الحتميات الحضارية للامم. فعن طريق الاتصال الثقافي يتحقق التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة والذي يؤدي الى التلاقح الفكري والحضاري الامر الذي يقود الى الارتقاء بالتفكير والسلوك البشري.

ان احد الأسباب التي أدت الى استمرارية بقاء المجتمعات البشرية وتطورها بحركة تصاعدية وعملت على توفير أسباب الرقي لهذه المجتمعات هو توفر عنصر التفاعل بين الثقافات الذي افضى الى الاخذ بالامور الايجابية من كل ثقافة بما يؤمن مجتمعا منفتحا وايجابيا بعيداً عن الانغلاق والسلبية.

ويجب ان تستثمر وسائل الاعلام امكاناتها المتعاظمة، في الوصول الى فئات كبيرة ومتعددة من الجماهير في مختلف ارجاء العالم وسهولة الوصول اليها في وقت واحد، في الدعوة والترويج لمبادئ الانفتاح الفكري والثقافي على الثقافات الاخرى وضرورة التفاعل معها تفاعلا ايجابياً يفضي الى تطوير الحضارة الانسانية بمجملها وبما يعمل على تطوير ما هو ايجابي في كل ثقافة واكتسابه ونبذ ورفض كل ما هو سلبي.

وفسح المجال لمناقشة الافكار والرؤى المتعددة شريطة ان تكون ايجابية وتدعو الى تطوير المجتمعات البشرية وان تبتعد عن العنصرية والعدوانية والسلبية.

ان التقاء الحضارات الانسانية وتفاعلها سيؤدي حتماً الى خير البشرية ويبعدها عن التصادم والتحارب والهدم. وخير وسيلة لالتقاء الحضارات هي التحاور بين من ينتمون الى الثقافات المتعددة فلا سبيل الى التقدم والارتقاء وضمان العيش الامن للبشرية جمعاء الا بالتفاعل والانفتاح على الآخر.

ان الانغلاق على الثقافة الواحدة وعدم التفاعل مع الثقافات الاخرى يؤدي بالنتيجة النهائية الى تحجر هذه الثقافة وجمودها وركودها مما يصيبها بالشلل والتخلف والتحجر وعدم مجاراتها للتغيرات والتطورات الحاصلة في البيئة العالمية.

وتفاعل الثقافات يعني اخذ بعضها من البعض الاخر ما هو ايجابي مما يؤدي الى التكامل بينها وزيادة نضوجها واثرائها وزيادة قيمتها المعنوية والرمزية وزيادة تخصيب قيمها بسبب التنوع والتعدد لهذه الثقافات.

ويجب ان تكون وسائل الاعلام أداة فاعلة وايجابية في الدعوة الى تفاعل الثقافات وتحاور الحضارات لا ان تكون أداة للتحريض وتشويه صورة الآخر وأداة للدعوات العنصرية او الانغلاق على الذات ومحاربة الآخر ونبذه، لان مثل هذه الدعوات لن تفضي الا الى تخريب المجتمعات البشرية وتجميد وتحجير الفكر الانساني الذي يحتاج دوما الى التعدد والتنوع والحيوية والاختلاف فهي أدوات رئيسة في انضاجه واثرائه ودفعه الى الامام.ان حتمية اتصال الثقافات الانسانية هي حقيقة لا يمكن لاحد ان ينكرها او ان يقف او يصطنع سدا للحؤول بينها، بل من الواجب ابداء كل انواع الدعم للاتصال الثقافي وضرورة تشجيع كل الدعوات التي تدعو الى التحاور والتفاعل وتدعو الى الغاء الآخر ونبذه لما فيه خير المجتمعات البشرية جمعاء.

السياحة نفط دائم

شاكر عبد موسى الساعدي
ميسان

استطاع العرب و المسلمون الأوائل وبجهودهم المخلصة في بناء حياة الأمم والشعوب أن يقيموا حضارة عظيمة ورائعة مترامية الأطراف ترتكز على أسس أخلاقية وعقائدية سماوية ترسخ جذورها في أعماق البناء الإنساني لازالت آثارها شاخصة في معظم أنحاء العالم وخاصة العراق وسوريا ومصر والسعودية واليمن وإيران وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى.

ولا تقتصر الشواخص الحضارية والعمرانية على قرون الحكم الإسلامي فقط وإنما سبقتها بآلاف السنين بقية الحضارات التي تعاقبت على عالمنا القديم وصولا إلى الحضارة الغربية اليوم.

لقد ترك لنا السابقون معالم وآثارا وتحفا معمارية نفتخر بها حتى ألان يزورها الكثيرون اعتزازاً برجالاتها أو افتخاراً لما تركه الأجداد للأحفاد ,مما يتطلب من هذا الجيل والأجيال القادمة ومن باب الحس الوطني على أقل تقدير الترويج لها في المؤتمرات السياحية المحلية والدولية كذلك في أجهزة الإعلام المختلفة بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي .

إلا أن ما نلاحظه اليوم هو العكس من ذلك عندما يقوم البعض بالترويج للسياحة في – إيران –مثلاً ونشر المواقع السياحة لهذا البلد والصور والفيديوهات لمدن الشمال الإيراني والعتبات المقدسة فيها والانجازات الطبية التي يعدها البعض مفخرة الشرق الأوسط المدفوعة أساساً بالدولار ولا يقتصر على ذلك بل راح البعض يروج للاستثمار في شراء وحدات سكنية أو حقول دواجن أو زراعة وأخذ الإقامة مع الأسرة وتسجيل شركات وفتح سجلات تجارية لإغراض الاستيراد والتصدير وفتح حسابات بنكية بالعملة الأجنبية (الدولار) في البنوك الإيرانية وبفائدة سنوية قد تصل إلى 20 بالمئة تدفع شهريا مقارنة بفائدة البنوك العراقية التي لا تتعدى 7 بالمئة لأن أغلب المصارف المحلية العراقية اليوم لم تطور عمها كما يجب وأصبحت مشغولة بشراء الدولار من البنك المركزي العراقي وبيعه في السوق المحلية.

سياحة ترفيهية

أما دولة – أذربيجان – التي لو سمعت بها في سبعينات القرن الماضي حينما كنت شاباً يافعاً لعقدت الرحال إليها آنذاك دون رجعة ,فهي اليوم كعبة السياحة الترفيهية للكثير من العرب والمسلمين وبقية شعوب العالم لأن البعض يعتقد بان الإسلام فيها حقيقي وليس مزيفا فعندهم الصدق والأمانة والمحبة والنظافة والوجوه المليحة إضافة إلى استتباب الأمن كذلك عدم وجود مليشيات وظواهر متطرفة أو مظاهر مسلحة في هذا البلد المسلم البالغة نفوسه عشرة ملايين نسمة الواقع في منطقة القوقاز والذي بلغ عدد السياح فيها لعام 2017 نحو 12 مليون سائح مقارنة بالكثير من الدول العربية والإسلامية التي غزاها الفكر القاعدي – الداعشي أو ترزح حالياً تحت حكم الملوك والسلاطين والمتأسلمين والتي أصبحت طاردة للسياحة وليست جاذبة لها.

الهجرة والجنسية

ناهيك عن كثرة – المكاتب السياحية – التي تروج للهجرة خارج العراق و الحصول على الجنسية أو الإقامة المنتهية من خلال الاستثمار بمبالغ مالية تبدأ من 100ألف دولار صعودا إلى (كندا وبريطانيا والدومينيك وقبرص وأمريكا والبرتغال ونيوزلندا وتركيا). حيث تسمح برامج الجنسية عبر الاستثمار بالحصول على جنسية ثانية وجواز سفر إضافي بشكل قانوني .. هذه البرامج أسرع بكثير من الهجرة التقليدية، وبعضها يستغرق وقتًا لا يزيد عن 90يومًا في معالجة الطلب، وفي كثير من الحالات لا تُشترط الإقامة أو حتى زيارة الدولة ,وبعد الحصول على الجنسية تحصل على مزايا تلك الجنسية ومنها الجوانب الضريبية والتعليم والتنقل بدون تأشيرة بين كثير من الدول.

وتعد – كندا – هي الدولة "الأكثر إثارة للإعجاب" وصاحبة "أفضل سمعة" في العالم، حيث تقدم هذه الدولة الحديثة والآمنة نوعية رائعة من الحياة للمهاجرين في مجتمع تعددي، وكل ذلك بتكلفة معيشة معقولة ,من خلالها يحصل المتقدمون الناجحون في برنامج (كييك) للمستثمر على تأشيرة إقامة دائمة غير مشروطة فيها، ويمكنهم البدء على الفور في المعيشة والعمل والقيام بأعمال تجارية في أي مكان من هذا البلد. كما يمكن أيضًا لأبناء هؤلاء المهاجرين المستثمرين الجدد البدء على الفور بالدراسة في المدارس والجامعات المحلية بصفتهم مقيمين في كندا على عكس الطالب الأجنبي.

خلاصة القول : أن تفعيل السياحة في – العراق – كبديل عن استخراج النفط بكميات كبيرة وضخه في السوق العالمية وبالتالي انخفاض أسعاره هو أمر طبيعي لان السياحة شباب دائم لا يهرم أو يموت بينما النفط كالإنسان يمر بمراحل الحياة المعروفة التي هي الولادة والطفولة والصبا والشباب ثم المشيب بعدها الموت أي النفاذ , وخاصة السياحة الترفيهية الموجودة فقط في إقليم كردستان شبه المستقل عن العراق والسياحة التعريفية بآثار العراق في بابل وذي قار ونينوى ,في بلد عريق مثل العراق الذي علم الشعوب الكتابة والذي أكتشف أهله السابقون النار وسنوا القوانين وشيدوا المدن ودجنوا الحيوانات وشقوا طرق الري والبزل.أما السياحة الدينية وخاصة في المناسبات الكبرى فقد حولها البعض إلى وليمة مليونية مجانية تأكل منها شعوب الأرض كافة دون تحقيق مردود مالي للاقتصاد العراقي شبه ألريعي الغرض منها أرضاء كبار رجال الدين وبعض الحكام المتأسلمين من الذين يتخذون من تلك المناسبات دعاية انتخابية للفوز بكراسي الحكم في الحكومات المحلية والبرلمانية لان البعض يفهم الإسلام بأنه تعبد وزيارة أماكن مقدسة وترديد شعارات طائفية دون تحقيق مردود مالي للبلد الذي عانى من الإرهاب ومن سرقة المال العام والقتل على الهوية ,فلقد سئمنا من الشعارات الطائفية ومن السم المدسوس في العسل ... فمتى نفعل السياحة في العراق؟.

العراق مشهد ما بعد الحرب

احمد خليل
بغداد

في ظل الصراع المتجدد الذي يشهده العراق والحروب التي شهدها وظهور ازمات تتعلق بوحدة وسيادة القانون واثارة العوامل القومية والطائفية وفي نفس الوقت يحاول الانفتاح على المحيط العربي والاسلامي والذي يصطدم ايضا بعدة قضايا تعتبر محورية لتثبيت اركان التقارب . من ضمنها ملف الفصائل ومدى تاثيرها في انحراف المسار السياسي والتي تعتبر خصما لدول التقارب التي يسعى العبادي لتثبيت مرساته بقاعها .

شكل الحكومة

فهنا الكل ينظر ويترقب كيف سيكون المشهد بعد داعش وكيف سيكون شكل الحكومه المقبلة هل مدنية ام علمانية ام دينية يتقدمها اسطول الفصائل الذي لايقهر. ام ان قادة الفصائل سيكتفون بالاعتزال بعد زوال داعش ويكتفون بزراعة النرجس في دور الايتام تخليدا لشهدائهم اذ اين تذهب هذه التضحيات بالارواح وكيف ستختفي مسارات الانتصارات التي رسمت بالدم واين ستذهب الطموحات الاقليمية التي تترجم على الارض . ومن جهة اخرى تحاول دول الخليج وامريكا التوغل اكثر في العمق العراقي لكبح المد الاقليمي من خلال فرض العقوبات واللعب بعداد الاتفاق النووي الايراني وتوقيع اتفاقيات تنموية واستثمارية خليجية عراقية تحاول ان تهز بها النخلة العراقية لتتساقط عليها رطبا جنيا دون ان يمسسها بشر لتلد عراقا عربيا موحدا يشفى المرضى ويطعم الجياع ويأوي الايتام ويعلم الاطفال وينشر العدل والسلام .

السؤال هو. كيف يمكننا نحن ان نصنع او بالاحرى ان نحور هذه المشاريع الاقليمية الكبيرة الى دولة الاعتدال والمواطنة بمجرد وضع اوراق رقيقة في صناديق بلاستيكية لكي ينتج عنها دولة مدنية فاذا ماقارنا هذه المعادلة بالمشاريع الكبرى هل يمكننا القول ان ايران والسعودية تقاسمت الوجود العراقي بدولتين دولة مثالية واخرى حكومة ظل. فيما يبقى انشاء الدولة المدنية حلما امام النفوذ الاقليمي ويعد مناقضا من كل النواحي ولايمكن مقارنة مسارات وتضحيات الدم بمسارات التطلعات والطموحات المدنية في هذه الايام الا بتحول جذري.

الشارع العراقي

فهنا نقول ان الشارع العراقي حاليا لايعرف ما هو المشروع الاصح ويتلاطم به الموج بين التيارات الدينية المسلحة لما تملكه من نفوذ وقوة وبين تطلعات نموذج الدولة المدنية التي تشكو ضعف القرار والسلطة مقارنة بالتيارات الاخرى فتجد المواطن يتلون باليوم خمس مرات كالحرباء بين توجهات التيارات يبحث لنفسه على مكانة تناسبه تزيده قوة ومدى وفي نفس الوقت عندما تتغير ادوار التيارات تجد نفس الشريحة من المواطنين ينقلبون على توجهاتهم القديمة وهكذا يبقى خيار المواطن العراقي الذي لازال يستند على توجهاته من باب مذهبي وعقائدي وعشائري ولاسيما مصلحة المواطن الذاتية التي تاخذه بعيدا عن كل طموح معتدل يحاول تقسيم الرقم على 2 وبدون باقي فمن خلال معاصرتنا للفترات الانتقالية الحاكمة بعد 2003 وجدنا انه في العمل السياسي الذي انصهر داخل المجتمعات لاتوجد له مناهج او قواعد ثابتة اساسية مثمرة يمكنها ان تسهم في بناء عراق ديمقراطي معتدل لانها اعتمدت على تلميع الشعارات والطموحات بالوان براقه لكسب اكبر قاعده جماهيرية تؤمن بانشاء مصلحه مختصرة او مناطقية بعيدا عن المصلحة الوطنية الشاملة لهذا تجد طموحات البصرة تختلف عن طموحات صلاح الدين اي ان الوطن اصبح بنظر البعض عبارة عن زقاق او مجمع او ناحية او قضاء بحيث اصبح كل تيار عبارة عن وطن لمن يتبعه وكلما لوحظ ان هذه القواعد الجماهيرة بدات بالابتعاد عن مسارها البسوها حرير الطائفية او القومية وغدت تبحث عن ممرات التقسيم او الانفصال والحقوق المسلوبة والتهميش وجعلها ورقة ضغط بوجه الحكومة اي انه خلق جو من عدم الثقة بين المواطن والدولة مما يجعل القواعد الجماهيرية تبحث عن عناوين وشعارات رصينة من قوادها تلوح بها بوجه الحكومة الا ان تلك الشعارات في كل مرة تخيب ولاتجني شيئا ابتداء من ساحات الاعتصامات السنية مرورا الى مطالب الشيعة بانهاء الفساد لتحصل على العيش الكريم انتهاء بمطالب الكرد بالانفصال كل هذه المؤشرات انتجت كانتونات مختلفة يصعب التعامل معها بوطنية واذا فرضنا ان تتعامل الحكومة او التيارات الجديدة بروح الوطنية فكيف يمكنها ان تطلق تلك المشاريع الوطنية فهل ستطلق مشروع الوطنية الشيعية الذي تتبناه ايران او مشروع الوطنية السنية الذي تتبناه السعودية او الوطنية الكردية الذي تتبناه دول اقليمية هذه التركيبة المعقدة تحتم علينا ان نبدأ عملا كبيرا وتاريخيا لكي ننفصل عن تلك التوجهات بكسر اولا عوامل الحقد الاداري والمذهبي والقومي تمهيدا لجمع تلك الكانتونات وتطريزها بخيط الاعتدال لكي ينتج عراقا موحدا حباله في دهوك وساريته في البصرة ولكن اذا بقينا مجرد ادوات مستعارة فان المكان المخصص لنا هو الرفوف ومتى اشتهت السياسية ستختار من يصلح لها لفك شفرة اللعبة لكل مشروع انتقالي.

> يبقى انشاء الدولة المدنية حلما امام النفوذ الاقليمي ويعد مناقضا من كل النواحي ولايمكن مقارنة مسارات وتضحيات الدم بمسارات التطلعات والطموحات المدنية في هذه الايام الا بتحول جذري.